

**الفضيلة والرذيلة عند أبي الطيب المتنبي**  
**عادل حماد سليمان**  
**الملخص**

شاعر العربية الكبير أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد، أعظم شعراء العربية بلا منازع، ومن أكثرهم تمكنا بلغة العرب، عُرِفَ عنه طموحه الشديد وكبريائه، وجزء كبير من شعره يدور في فلك الحكمة والاعتزاز بالذات.

واختلطت أشعار المتنبي بين الفضائل والرذائل، فقد ذكر العديد من فضائل الأمراء والملوك من الشجاعة والإقدام في الحرب، وصون العرض، والكرم، وعفة النفس، إذا أغدقوا عليه من المنح والعطايا، وإذا به يهجوهم، ويذكر رذائلهم ويصفهم بما فيهم، وما ليس فيهم، حين يمنعه الهبات والعطايا، فما هو يهجو كافر الذي سبق ومدحه، بقصيده حين فارق مصر، بعد أن ذهب إليها في سنة ست وأربعين وثلاثمائة، ليمدح كافر الأخشيدي، الذي وعده بولاية بعض أعماله، فلما رأى تغاليه في شعره وسموه بنفسه، خافه، وعوتب فيه، فقال: يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (ﷺ) أما يدعي المملكة مع كافر؟ فحسبكم، ولما برضى المتنبي عن كافر وخلافه لوعده له بأمانة، وأمله في أمانة سياسية مثل أمانة سيف الدولة بالشام ليكون له مجلس مثله يجتمع فيه الشعراء والأدباء، ليمدحوه ويناطحونه في الشعر، ليستعوض بها شيء من كبريائه الذي جرح في مجلس سيف الدولة بالشام، وفي ليلة عيد الأضحى المبارك ترك مصر، قاصداً بلاد فارس لمدح عضد الدولة بن بويه الديلي، وهذا ما تهدفه الدراسة في التعرف على الفضيلة والرذيلة في شعر شاعر العربية الكبير أبي الطيب المتنبي، وسوف نتطرق الدراسة بطبيعة الحال لشخصية المتنبي وظروف حياته الشخصية التي بلاشك أثرت في خصاله وطباعه والتي انعكست على شعره، وكان لها أثر في نظرتة للأمور، وفي موقفه من الفضيلة والرذيلة.

**الكلمات المفتاحية : الفضيلة - الرذيلة - المتنبي.**

## **Virtue and Vice according to Abu Al-Tayyib Al Mutanabbi Adel Hamed Suleiman**

### **Abstract**

The great Arabic language poet Abu Tayeb Ahmed son of Al Hussein son of Al Hassan son of Abdel Samad, the greatest Arab poets undisputedly, and he is the most one of them that was a master of and able to recruit language of the Arabs. He was known for his extreme ambition and pride, and a large part of his poetry revolves in the orbit of wisdom and self-esteem.

Al Mutanabbi's poems were mixed with virtues and vices as he mentioned many of the virtues of princes and kings such as the courage and bravery in wars, the preservation of the dignity, generosity and self-glory as they awarded him grants and gifts, and suddenly he started to satirize them, mentioning their vices and describing them as they are in real life alongside with qualities they are not attributed them when they stop granting him donations and gifts. We found him satirizes Kamphor who has been already praised by him through a poem when he left Egypt as he went there in year "three hundred and forty six" to praise Kamphor Al Ikhchidi, who promised him to undertake some of his works, and when he found out that the poet was overreacting in his poetry and he is so arrogant, Al Ikhchidi was afraid of him, and many persons admonishes him for letting that poet be close to him, He said: O my people who claimed prophethood after Muhammad (r) he may claims the reign of Kingdom with Kamphor? So stay away from him. So, if Kaphor was satisfied with the poet Al Mutanabi, he would promise him with an emirate as he hoped of reign of political emirate such as the Emirate of Saif Al Dawla in the Levant in order to have a council like him in which the poets and writers are meeting together, to praise him and compete him through poetry in order to gain something of his pride that was wounded in the Council of State of Saif Al Dawla in the Levant. On the night of Eid Al-Adha festival, he left Egypt heading to Persia to praise Adud Al Dawla son of Boya Al Daiyli. This the target of study as it aims to identify the virtue and vice in the poetry of the great Arab poet Abu Al Mutanabbi and the study will obviously tackle the personality of Al Mutanabbi and his personal circumstances of which undoubtedly influenced his qualities and features which reflected on his poetry, and this had an impact on his viewpoints towards the surrounding things, and in his attitude towards the virtue and vice.

**The key words: Virtue - Vice – Al Mutanabbi.**

**تمهيد :**

يتناول هذا البحث موضوع الفضيلة والرذيلة في شعر شاعر العربية الكبير أبي الطيب المتنبي الذي ملأ الدنيا وبلغت شهرته الآفاق. وسوف نتطرق بطبيعة الحال لشخصية المتنبي وظروف حياته الشخصية التي بلاشك أثرت في خصاله وطباعه، وكان لها أثر في نظرتة للأمور، وفي موقفه من الفضيلة والرذيلة.

وسوف نتناول بعض أشعار المتنبي التي يتضح من خلالها معنى الفضيلة والرذيلة، وقد أكد النقاد على الشاعر العربي القديم الذي أكد أنه :  
ولولا خلال سنها الشعر ما درى بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

**أولاً : مدخل إلى الفضيلة والرذيلة .... نظرة في الأدب العربي :**

**المعنى اللغوي لكلمة رذيلة :**

ما كان ساقطاً خسيئاً من الأعمال، وعكسها فضيلة:- تنتشر الرذيلة حين تعمّ الفوضى، - تردى فلان في الرذيلة. سلوك إجرامي كالبغيء أو الاتجار بالصور المخلّة بالأداب، والمقامرة والمخدرات وغيرها والتي تسيء إلى المعايير الخلقية. والاجتماعية، وفي المعجم الوسيط الرذيلة : الخصلة الذميمة ، وهي تقابل الفضيلة. والجمع : رذائل.

ولا خلاف في أنّ الأخلاق من سمات الإنسان الجوهرية، فبالأخلاق يتحدّد وبها يتميّز عن سائر المخلوقات، كما يتميّز بالعقل، فالإنسان كان ذو أخلاق، ولا تنفد الأخلاق بزمان دون غيره، ولا تنحصر بمجتمع دون آخر، بل هي نصبب الإنسانية جمعاء في كلّ زمان ومكان.

ولأنّ الأخلاق تتجسّد سلوكاً وتنبّد أفعالاً في العلاقات الإنسانية، فإنّ الشّعْر وجد فيها مجالاً رحباً للقول في بابي المدح والفخر فردياً وجماعياً، والشّعْر تعبير عن النفس الإنسانية في تجلياتها المتنوّعة، ومحاولة للإمساك بجذوة الرّوح المطلقة إلى الكمال والنزوع إلى الخير بلغته الجماليّة الخاصّة.

ولقد احتفى الشّعْر - منذ بداياته - بالأخلاق، وسعى إلى تجسيد القيم الأخلاقية التي تظهر في سلوك النّاس ومواقفهم كنوع من التّبشير بهذه القيم وترسيخها لدى الأجيال.

ولقد ازداد اهتمام الشّعْر العربيّ بعد ظهور الإسلام - أو هذا ما يُفترض - بالأخلاق انسجاماً مع احترام الأخلاق، والتزاماً بواجب الانتماء إلى الدّين الجديّد الذي أولى الأخلاق منزلة سامية.

ومن هذا المنطلق شغلت قضية الالتزام الأخلاقي في الشّعْر العربيّ منذ أن أشرقت شمس الإسلام اهتمام الدّارسين والباحثين، وتصور البعض منهم أنّ الشّعْر الجاهليّ قد أغفل هذه القضية، فحياة العرب ثار ودماء ومجون وشراب، و سلب ونهب؛ نظراً لغياب القانون؛ حتى إنّ معيار الحكم التقدي لم يكن يأخذ بنظر الاعتبار الجانب الأخلاقي، وإّما كان ينظر إليه نظرة فنيّة خالصة). (شوقي ضيف، 2000 : 303)

## الفضيلة والرذيلة عند الفلاسفة :

### طبيعة الفضائل:

ما هي الفضيلة: يعرف البعض الفضيلة بأنها الاستعداد الدائم لسلوك طريق الخير. وبالنسبة للبعض الآخر هي حالة ثابتة تكمل قوة النفس وتحوّلها إلى عمل. عمل الخير. وبالنسبة لغيرهم هي عادة صالحة أو صفة يكتسبها الإنسان تميل به إلى مزاوله الأعمال المطابقة لنظام الطبيعة، ومنطق العقل.

وعرف (أفلاطون) الفضيلة بالعلم بالخير والعمل به، وأمّهات الفضائل عنده هي: الحكمة، العفة، الشجاعة، العدالة، وأضدادها من الرذائل: الجهل والشهوه والجبن والجور. فالحكمة فضيلة النفس الناطقة، والعفة فضيلة النفس الشهوانية، والشجاعة فهي فضيلة النفس الغاضبة، وأما العدالة فهي التي تجتمع لديه من هذه الفضائل الثلاث (الشجاعة والحكمة والعفة). ومن شروط الفضيلة لدى (أفلاطون) ، أن تتم في الحياة الاجتماعية، لأن من ترك مخالطة الناس وتفرد بالأمر دونهم لا تحصل له الفضيلة، ولا معنى للتواضع والصدقة والكرم، والإخلاص وإنكار الذات، وغيرها من الفضائل إلا بالنسبة إلى رجل يعيش مع الناس، ويشاركهم في أحوالهم، حيث يقول: إن الفضائل تختلف باختلاف طبقات المجتمع، فإذا كانت العفة فضيلة العمال، والشجاعة فضيلة الجنود والحكمة فضيلة الحكام، فإن المجتمع الفاضل هو المجتمع العادل، الذي تتحقق فيه جميع الفضائل الإنسانية في وزن واحد من الأنساق

وعرف (أرسطو) الفضيلة بأنها الاستعداد الطبيعي أو المكتسب للقيام بالأفعال المطابقة للخير. وكل فضيلة هي وسط بين رذيلتين، فالحكمة هي وسط بين السفه والبله، والعفة فضيلة بين الشهوة وخمود الشهوة، والشجاعة فضيلة وسط بين التهور والجبن، والعدالة وسط بين الظلم والمظلومية.

وعالج توما الإكويني موضوع الفضائل من وجهة نظر القوى المتعددة والطاقات الموجودة في الإنسان. ويعلم الإكويني بأن كل قوة من القوى الكامنة في طبيعة الإنسان قابلة لاكتساب العادات المتنوعة. وتسمى هذه القوى والطاقات بالملكات. وتتميز هذه بمقدار معين من الديمومة أو الاستقرار. وعندما تتوجّه الملكات نحو الخير الأخلاقي تُعرف بالفضائل. وعندما تتوجّه نحو الشر تُعرف بالرذائل.

وقال الفيلسوف (كانت) إن الرجل لا يكون فاضلاً حتى يكون فعله صادراً عن إرادة صالحة تسمى بنية الفعل، وقوام هذه الإرادة الصالحة عنده العمل بمقتضى القانون الأخلاقي المطابق لأحكام العقل دون طمع في ثواب، أو خوف من عقاب.

وقد فرق الفيلسوف (كانت) بين الفضيلة والواجب، فقال إن الفضيلة هي المبدأ الداخلي للأفعال التي يحقق بها الإنسان كماله الذاتي، سعادته، وسعادة غيره، في حين أن الواجب هو الأمر المطلق الذي توزن به الأفعال.

### العادة والفضيلة: ليست الفضيلة مجرد عادة.

إن الفضيلة تقتضي في ممارستها تجددًا حراً نابعاً من قصد داخلي وواقع عميق وحب للقيم الأخلاقية بينما العادة هي مجرد تكرار للعمل وتقتصر مراراً على المستوى الطبيعي الفيزيولوجي (عادة التدخين أو السكر مثلاً). والفضيلة غنى وجمال داخلي يشع في الأعمال الخارجية. والإنسان الفاضل لا يكتفي بما وصل إليه من الفضيلة بل يتطلع دائماً إلى آفاق أوسع. والجدير بالذكر أن الفضيلة الحقيقية تثبت من غنى المحبة كما أنها، في الوقت ذاته، تزيد هذه المحبة. إن من يقول فضيلة يقول استمرارية وسهولة في العمل الجيد الذي ينبع من جودة الإنسان الفاضل الداخلية. والفضيلة تجتد قوى النفس وتوجه نشاطها نحو الخير.

والفضيلة الحقيقية تفترض عند الإنسان موقفاً جيداً وأساسياً وعماماً، إنها طبيعة ثانية تحمل على السعي وراء الخير وتجنب الشر بطريقة شبه عفوية ودائمة في مختلف الظروف والأحوال.

### الفضائل الطبيعية :

**فضائل مكتسبة:** تعتبر هذه الفضائل مكتسبة لأن الإنسان نفسه يكتسبها بجهوده الشخصية. وأن أعماله هي التي تقويها. فعلى سبيل المثال يكتسب الإنسان فضيلة الصدق الطبيعية ويقويها عن طريق المثابرة على قول الحق. وممارسة الفضائل الطبيعية تعكس متطلبات الشريعة الطبيعية. وتضفي الفضائل الطبيعية السهولة والسرور في العمل المتطابق. وهكذا فالشخص صاحب فضيلة الصدق يجد قول الصدق سهلاً وساراً. وحتى الخاطئ قد تكون لديه بعض الفضائل الطبيعية.

والشخص قد يكون صادقاً تماماً رغم كونه سكيراً. ومع هذا فإن الفضائل الأخلاقية مرتبط بعضها ببعض بطريقة تجعل وجود إحداها يتطلب وجود الأخرى. وهكذا فإن غياب فضيلة يؤثر على وجود أخرى. فالمدمن على معاقرة المسكرات مثلاً قد يجد أنه يستحيل عليه أن يصبح صادقاً.

**الفضائل الأدبية الرئيسية:** هي فضائل يكتسبها الإنسان وتميل به إلى أن يُكَيَّف سلوكه مع الله، ومع نفسه، ومع المجتمع باستقامة. وهذه الفضائل هي: الفطنة، العدالة، القناعة والقوة. وهي تُدعى فضائل رئيسية (cardinal- من اللاتينية "كاردو"، محور)، لأن الفضائل الأخرى جميعها يمكن ترتيبها أو تصنيفها انطلاقاً منها. الفطنة موجودة في العقل، وهي تتيح للفرد أن يتعرف على واجبه الأخلاقي ووسائل تحقيقه. أما العدالة فتكمن في الإرادة، وهي تميل بالإنسان إلى أن يعطي لكل ذي حق حقه. أما القوة فموجودة في الأحاسيس، وهي تمكن الإنسان من مجابهة صعوبات هذه الحياة بثبات وخصوصاً الخوف من الموت. أما القناعة فموجودة في الرغبة الشهوانية وتمكّن الإنسان من إبقاء عواطفه ومشاعره تحت سيطرة العقل.

**الفضائل الأدبية الأخرى:** يعتبر بعض اللاهوتيين الفضائل الرئيسية من مقتضيات كل فضيلة أخرى. لذا يمكن تصنيف الفضائل الأدبية المتبقية جميعها تحت الفضائل الرئيسية. وهكذا فإن تلك الفضائل لممارسة فضيلة أساسية تسمى الأجزاء المكتملة بالفضيلة الأساسية: فمثلاً الحرص والحذر هما جزءان مكملان لفضيلة الفطنة؛ أو الأجزاء المرتبطة: مثلاً التغلب على المصاعب وعدم التراجع أمامها هما جزءان مرتبطان بفضيلة الشجاعة. وتُدعى الفضائل المرتبطة بالفضائل الرئيسية (كارتباط النوع بالجنس) بالأجزاء الذاتية لتلك الفضيلة. وهكذا فإن العدالة القانونية، أو العدالة الاجتماعية، والعدالة التبادلية التي تسود بين الأفراد هي أجزاء مرتبطة بفضيلة العدالة الأساسية. وأخيراً فإن الفضائل التي تملك بعض خصائص الفضيلة الأساسية، ولكن ليست جميعها، تدعى الأجزاء المحتملة للفضيلة. ففضيلتنا التواضع والطف مثلاً، هما أجزاء محتملة لفضيلة الفناعة.

ويقال في اللاتينية *Virtus in medio stat* أن الفضيلة تكمن في الوسط (خير الأمور أوسطها). وبعبارة أخرى يُقاس العمل بالمعيار الذي يقرره العقل. أما العمل غير الفاضل، فإنه يخالف هذا المعيار بالإفراط أو النقص. وهكذا فإن الشخص المفرط إما أن يسرف في الطعام أكثر مما يجب، أو بأن يقلل أكثر مما يجب. وفي هذا المعنى تكمن الفضيلة في الوسط. أما فيما يتعلق بأمور العدالة فإن الوسط لا يعني المعيار الذي يقرره العقل فحسب، بل أيضاً تقرره المساواة (لا أكثر ولا أقل) الواجبة للشخص الأخر.

#### الإلزام الخُلقي :

وثمة عملية وراء صدور الخُلُق عن الإنسان بصورة شبه تلقائية من غير فكر ولا روية، هذه العملية يُطلق عليه (الإلزام الخُلقي)، يتم هذا الإلزام عن طريق عمليتين متقابلتين: عملية ضغط وإلزام خارجي. يقابلها تفاعل واستجابة من داخل الإنسان، وهاتان العمليتان هما أساس المسألة الأخلاقية، وعنهما يصدر الخُلُق. ومبدأ الإلزام هو المحور الأساسي الذي يدور حوله النظام الأخلاقي كله، ولا يمكن تصور قاعدة أخلاقية بدونه، وزوال فكرة الإلزام يقضي علي جوهر الحكمة العقلية والعملية التي تهدف الأخلاق إلى تحقيقها، فإذا انعدم الإلزام انعدمت المسؤولية، وإذا انعدمت المسؤولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه، وإقامة أسس العدالة، وحينئذ تعمّ الفوضى ويسود الاضطراب، وإذا كانت الأخلاق تؤول في النهاية إلى مجموعة من القواعد، فكيف يتسنى للقاعدة أن تكون قاعدة بدون أن تلزم الأفراد باتباعها. (عبد الله دراز، ب.ت: 22)، (السيد بدوي، 66) ومعلوم أن حياة العرب في عصر ما قبل الإسلام لم تكن كلها ثأراً ودماءً، ولم تحل روح العصبية بينهم وبين التحلي ببعض القيم الخلقية، فهذه العصبية هي التي دفعتهم إلى الأخذ بالثأر، وانتزاع الحق بالقوة، ورفض الظلم والعدوان، والتحلي بالشجاعة من أجل أهداف نبيلة. (سعيد منصور، 1972: 33) ولم يكن أمر القبيلة فوضى داخلياً وخارجياً، لأن أفراد القبيلة متضامنون أشد التضامن، تربطهم صلات ونظم بالقبائل الأخرى، وقيم يلتقون عندها، فتركوا

لنا آثاراً شعرية اشتملت على الحكم والوصايا، تتضمن نصائح خُلقية تنسّم بالتفكير الفطري، تلك المُثل جمعتها كلمة (المروءة) والخلال الطيبة (محمد يوسف موسى، 1998م، ص 9)، و" تتمثل المثل الجاهلية في (المروءة) وقد فسرت بأنها كمال الرجولة ومن المروءة: الحلم، والصبر، والعفو عند المقدرة، وقري الضيف، وإغاثة الملهوف، ونصرة الجار، وحماية الضعيف، فإذا تمثلت أمثال هذه السجايا في رجل كان كاملاً، عظيم الشأن في قومه، والمروءة عند الجاهليين كالدين عند المسلم.

وقد ورد أن المروءة " ألا تفعل في السرّ أمراً وأنت تستحي أن تفعله جهراً. (ابن منظور، 149/1) فهي أقصى ما تكون من أخلاق الرجل الكامل الشجاع، وقد أقرها الإسلام في جملة ما أقره من فضائل الجاهلية، وورد: الدين المروءة، ولا دين إلا بالمروءة". (جواد علي، 2001)

لذا تمسك العربي آنذاك بهذه العادات، لأنها بمثابة القانون الذي يحكمهم، فقد التزم بالعرف والعادات، والتزم بالقيم والمبادئ، وأمن بها، وهي قيم تتفق وروح الإسلام وتدل على وجود سنن وقوانين قبل الإسلام تُعتبر بمنزلة القانون أو الفقه في الإسلام، مع فارق واحد هو أن الفقه في الإسلام يرجع إلى الوحي والأوامر أو التواهي النبوية، أما عرف الجاهليين فهو من وضعهم، ومن مؤثرات خارجية لا تُصالحهم بالأمم الأعجمية، (سعيد منصور، 1972 : 4) هذا بالإضافة إلى الديانات التي كانت منتشرة آنذاك حيث ديانة إبراهيم - عليه السلام -، والمسيحية واليهودية، فهذه الديانات كانت لها مكانتها عند العرب في الجاهلية على اختلاف في قدر الانتشار، فقد غرست غير قليل من القيم في نفوسهم، وإن تلبست بكثير من الانحراف. (جابر فميحه، 1984 : 27) وهذا يعني أن العرب استمدوا أخلاقهم من فطرتهم السليمة، ومن وحي بيئتهم إلى جانب الديانات السماوية خاصة الحنفية، التي جاء بها الإسلام ليعيها ويضيف عليها. (سعيد منصور، 1972 : 34-35)

ومما يزيد الأمر وضوحاً معرفة بعض القيم التي آمن بها العرب في جاهليتهم فلديهم الالتزام الخُلقي يبدو واضحاً في الشجاعة باعتبارها قيمة خُلقية تمسك بها العربي من أجل أهداف نبيلة تتمثل في الدفاع عن النفس، وعن حمى القبيلة، وعن الحق، فالحق عنده القدرة أو القوة، " فالقدرة من أهم أسباب تحقيق الحق وأخذه من المغتصبين، ثم عامل آخر هو العصبية فإنها عامل آخر من عوامل الدفاع عن الحق لعدم وجود حكومة نظامية تقوم بتحقيق الحق، فقامت العصبية مقامها في استحصال الحق وفي تأديب الخارج عن العرف. (جواد علي، 2001م)

وحياة العربي خطر داهم في أحضان الصحراء القاسية، فعليه تقع مسئولية الدفاع، والذي لا يدافع عن نفسه كما قال (زهير بن أبي سلمى) يكون مظلوماً مهاناً: (ديوان زهير بن أبي سلمى ، 1988م)

وَمَنْ لَمْ يَدُدْ عَن حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ

وعلى الحرّ الكريم أن يخوض المخاطر، ويجوب بحور المنايا للحصول على المال للمساكين ذوي المتربة والمقربة، كما فعل الصعاليك، الذين ضربوا أحسن الأمثلة في تحطيم الفوارق الطبيعية يقول (عروة بن الورد) مبيناً هدفه من

الغزو مخاطباً زوجه التي تخشى عليه الموت

فإن فازَ سَهْمَ المنيةِ لم أكنْ  
جزوَعًا، وهل عن ذلك من متأخّر  
فجوع لأهل الصّالحينِ مزلة مزلة: أي تزل بأهلها  
مخوف رداها أن تصيبك، فأحذر

### في الصبر :

ومن أحسن ما قالوا في الصبر قول (نهشل بن حرّي بن ضمرة التّهشليّ)  
: (ابن عديريه 1م 106-107)

ويومٍ كأنّ المصطلين بحرّه  
صبرنا له حتى يبّوخ  
وإن لم تكن نار قيام على جمر  
وإنما تُفرّج أيام الكريهة بالصبر  
وقد أملت عليهم هذه الثقافة الاعتراف بالهزيمة، و إنصاف العدو والشهادة  
له بالقوّة والشجاعة، وفي ذلك يقول (زهير بن الحارث الكلابي): (المرزوقي، 1991 :  
(156)

سَقِينَاهُمْ كَأَسَا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا  
ولكنهم كانوا علي الموت أصبراً  
وقد صبر العربي على حُمياً المعارك - كما ذكرنا آنفاً - وعلى نوائب  
الدهر، ولم ينثه هذا الخلق على ما نزل به من نوازل، وما حلّ به من خطوب  
جسام لأتفه فطر على ذلك، فهو يخشى شماتة الأعداء، ولوم الأصدقاء، وهو حرّ  
كريم يأبى الدلّ والجزع، لأنه أدرك أنّ الجزع لا يُجدي نفعاً، ولا يردّ فقيداً، لذلك  
تمسك بهذا الطبع، وأثنى على الصابرين في البأساء والضراء، وافتخر بذلك،  
وتجرّع مرارته، وفي ذلك يقول الجمال العبدي: (ديوان الحماسة، 128)  
لا الثائبات لهذا الدهر تقطعني  
والصبر متي على ما نابني خلق  
إنّ الكريم صبورٌ كيفما انصرفت به  
الصروف إذا ما أفلق الفرق  
وأحسن ما قيل في الصبر على نوائب الدهر قول عبيد الله بن الأبرص:

صَبْرُ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مَلَمٍ  
إنّ في الصبر حيلة المحتال  
ربّما تجرّع النفوس من الأمر له فرجة كحلّ العقال (ديوان عبيد الأبرص، 128)  
وصبر العربي على الجوع والفقر، لأنّ عفته تُملي عليه ذلك؛ حتى لا  
ينزلق في مهاوي المذلة والهوان، فالموت عنده أكرم من حياة الدلّ، عبّر عن ذلك  
(عننرة ابن شداد) في مثل قوله:

ولقد أبيت على الطوى وأظله  
حتى أنال به كريم المائل (حماسة البحري، 131)  
وضرب الشعراء الصعاليك أروع الأمثلة في العفة والترفع عن الدنيا  
والضيم، والصبر على الجوع، الذي أضحي مجالاً للفخر بقوتهم وصدق عزائمهم،  
فهذا (أبو خراش الهذلي) يرسم صورة نبيلة للجوع، الذي حاول النيل منه، وأتى له  
ذلك حيث يقول:

واعتنق الماء القراح فانتهي  
إذا الزاد أمسى للمزج ذا طعم  
أردُّ شجاع البطن قد تعلّمينه  
وأوتر غيري من عيالك بالطعم  
وللموت خيرٌ من حياة على رعم (ديوان الهذليين، 1965 : 128)



وأمن العربيّ بالوفاء لأئه قائم على الصدق والقوة والشجاعة والنضحية في سبيل هذا المبدأ، فالتمسك بالكلمة مقدس عند العربيّ في ظلّ مجتمع تُلقى القوة بظلالها عليه، فلا مجال للغدر في قاموسهم ومن تسول له نفسه فعل ذلك، يُرفع له لواء في سوق عكاظ للتشهير به ليكون عبرة وعظة لسواه، فالالتزام الخُلقي يفرض على العربيّ التمسك بالوفاء وفي ذلك قال: (الحادرة) لصاحبته (سميّة)، مفتخراً بهذه السجّية:

أسمي ويحك هل سمعت بغدرة      رُفِعَ اللّواءُ لنا بها في مَجْمَعِ  
إنا نَعْفُ فلا نُـرِيبُ حليقنا      ونكفُ شحّ نفوسنا في المطمع (المفضليات، 165)

#### تحقيق الثناء والحمد :

كان العربيّ جواداً يسعى لتحقيق الثناء والحمد؛ لأئه أعاث المعوزين ذوي المترية، وفي ذلك يقول رجل من آل حرب رداً على من لامته لمبالغته الجود:

قالت أراك بما أنفقت ذا سرفٍ      فيما فعلت فهلا فيك تصنيدٌ  
قلتُ اتركيني أبع مالي بمكرمة      يَبْقَى ثنائي بها ما أورقَ العودُ (ديوان الحماسة، 2012 : 334)

#### الخوف من الدّم :

كان لزاماً على المضيف أن يكرم ضيفه؛ حتى لا يكون لعنة للنزل، أشار إلى ذلك (عمرو بن الأهنم) في مثل قوله:

وكلُّ كريم يَبْقَى الدّمَّ بالقرى      وللخير بين الصّالحين طريقُ

#### عادة حسنة :

من يبق الدّم بالقرى يتعود عليه، ولا مجال للتخلّي عن هذه العادة الحسنة، عبّر عن ذلك (أحد بني حرب)، وكان بعض النساء قد لامته على إنفاقه أمواله:

باتت ثلوم وتلحاني على خلقٍ      عودته عادة والجود تعويدُ  
إنا إذا ما أتينا أمر مكرمةٍ      قالت لنا أنفس حريّة عودوا (ديوان الحماسة، 343/2)

#### صون العرض :

ألمي الخلق القويم على العربيّ أن يكون جواداً؛ ليصون عرضه وخير من فعل ذلك (حاتم الطائي) إذ يقول:

دريبي يكن مالي لعرضي جنةً      بقي المالُ عرضي قبل أن تتبدداً (ديوان حاتم الطائي، 1994 : 67)

#### الكرم وسيلة من وسائل السيادة :

قد يكون الكرم وسيلة من وسائل السيادة، ولا عجب في ذلك، لأنّ صاحبه يجود بماله من أجل أهداف إنسانية نبيلة، وخير مثال على ذلك (حاتم الطائي)، فقد بيّن ذلك في قوله:

يقولون لي أهكت مالك، فاقتصد      وما كنت، لولا ما تقولون سيديا (ديوان حاتم الطائي، 1994 : 58)

ويتبين من خلال استعراض هذه الحوافز، أنّها تصبّ في معين ثقافة الالتزام الخُلقي، فالأريحي الذي يسعى لتحقيق الثناء والحمد في حياته وبعد مماته،

ويخاف من الدّم، يمدّ يد العون، لرفع المعاناة عن البائسين، وإدخال الأمن في نفوس الطّارقين، يرتقي بنفسه إلى أعلى درجات المروءة والشّهامة، ولن يتخلّى عن هذه العادة الحسنة، فمن خلالها تتجلّى معاني الإنسانية في نفسه، فهي عنوان الفضيلة، يشعر صاحبها بالسّعادة والراحّة النفسية، وهو بذلك يصون عرضه، وذلك أقدس ما يسمو إليه المرء، وبذلك يستحقّ الكريم أن يكون سيّداً في قومه.

وتلمع بوارق هذه الثقافة في حديث الشعراء عن الغاية من الكرم، فالخضّم كان يجود بماله من أجل أهداف سامية تتمثّل في تقديم المساعدة للمعوزين، فقد ضرب (عروة ابن الورد) أروع الأمثلة في المشاركة الوجدانيّة، وإذابة الفوارق في مجتمع ما قبل الإسلام، لدرجة أنّ (عبد الملك بن مروان) قال: " ما يسّرني أن أحداً من العرب ولدني ممّن لم يلدني إلا عروة " الأغاني 3 / 71 لقوله:

إني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد  
أتهزأ مني أن سميت وقد ترى بجسمي شحوب الحقّ والحقّ جاهد  
أقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء، والماء بارد (ديوان عروة بن الورد، 1998 : 51-53)  
وسعى (حاتم الطائي) إلى صلة الرّحم، استجابة لنداء الفطرة في مثل قوله:  
يرى البخیل سبيل المال واحدة إنّ الجواد يرى في ماله سبلاً  
لا تعذّليني على مال وصلت به رَحماً، وخير سبيل المال ما وصلّا

(ديوان حاتم الطائي، مرجع سابق، ص 106 – 107)

#### عفة النفس :

رفض العربيّ الدّلّ والهوان والاستسلام للطّبيعة القاسية، حيث الجذب والفقر، وتجلت عفة نفسه، وحسن سيرته عندما يكون معدماً، وفي ذلك يقول (ابن خذاق العبدي) :

فأكرّم ما تكون عليّ نفسي إذا ما قلّ في الأزمان مالي  
فتحسّن سيرتي، وأصون عرضي ويجمّل عند أهل الرّأي حالي  
(أسامة بن منقذ، 1987 : 24)

وافخر بعفة نفسه، كما فعل (عبيد بن الأبرص) :

لعمرك إنني لأعف نفسي وأسئّر بالتكرم من خصاص  
(ديوان عبيد بن الأبرص، 1983: 86)

#### الحياء و غرض الطرف عن الجارة :

لم يقل العربيّ حياء وعفة عن المرأة في هذا المجتمع؛ لأنّ الرّجل الكريم يباي بنفسه عن التّعريض للنساء، والنّيل من أعراضهنّ، وخدش كرامتهنّ، فهو الذي يبذل ماله من أجل حماية عرضه، فكيف يسمح لنفسه أن يمسّ أعراض الآخرين، أمّا غير الكريم، فهو لا يجرؤ أن يركب مثل هذا الخطأ، لأنّه سيعرض نفسه وقومه إلى ويلات حرب لا تُحمد عقباها، وهو في الوقت نفسه يعلم أنّ هذا الأمر حرام يمجه العقل البشري، وترفضه الفطرة السليمة، لذا التزم العربيّ، وعضّ بصره عن جاراته، وعطلّ سمعه عن سماع حديثهنّ، وفي ذلك يقول السيّد الكريم (حاتم الطائي) :

بعيني عن جارات قومي غفلة وفي السمع مئي عن حديثهن وقر (المرجع السابق، 74)  
 وكان الفارس النبيل (عنتر بن شداد) يعض طرفه عن جاراته:  
 وأعض طرفي ما بدت جارتي حتى يُواري جارتي مأواها  
 إني امرؤ سمح الخليفة ماجد لا أتبع النفس اللجوج هوأها (ديوان عنتر بن شداد، 71)

### الصبر على الجوع والقناعة :

القناعة والصبر على الجوع ضرب من ضروب العفة، فالعفيف يستف الثراب، ولا يمدّ يده للآخرين، كما ذكر شاعر الصحراء الأبي (الشنفرى): (الأشباه والنظائر 1 / 193)

وأستف ثرب الأرض كي لا يرى علي من الفضل امرؤ متفضل

إنّ النظام الخلقى يقوم على وسيلة ضبط لسلوك الفرد داخلياً، كما يكون الخضوع للقيم إرادياً دون إكراه، وهكذا تساهم القيم الخلقية بقيام نوع من الاستقرار الاجتماعي، فإذا ضعف الالتزام الأخلاقي، بدأت القلاقل والمتاعب وبدأ الشك بالقيم والثقافة المحلية كذلك، عند ذلك يصبح تحقيق الذات وحياسة الاعتراف الاجتماعي متعارضين، مع احترام القواعد الأخلاقية السائدة، وعندها يكون تأثير القيم والضبط الاجتماعي قد ضعفا كثيراً، ومن ثم لم يعد ضبط سلوك الأفراد هيناً بل عسيراً.

### ثانياً : التعريف بالمتنبي :

هو شاعر العربية الكبير أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد، أعظم شعراء العربية بلا منازع، ومن أكثرهم تمكناً بلغة العرب، عُرِف عنه طموحه الشديد وكبريائه، وجزء كبير من شعره يدور في فلك الحكمة والاعتزاز بالذات. (مصطفى الشكعة، 2001)

ولد أبو الطيب المتنبي في الكوفة عام 303 هـ - 915 م بحي أو قبيلة كندة، في فترة صعبة من تاريخ الأمة العربية؛ إذ شهدت تلك الحقبة ضعف الدولة العباسية، وتفكك إماراتها إلى دويلات صغيرة متناثرة متصارعة على الحكم والسلطة وبسط النفوذ، وشهدت انحسار نفوذ الخلافة والخلفاء، وانحصرت السلطة الفعلية في يد قادة الجيش والوزراء، وظهرت الدويلات المستقلة في بلاد الشام، وتعرضت حدود دولة الإسلام لهجمات الأعداء، فتارة الروم يهجمون على الثغور، وتارة أخرى تظهر الحركات المناوئة للدولة داخلياً كحركة القرامطة، وما قاموا به من هجوم على الكوفة آنذاك، وكان لكل إمارة مستقلة أمير يحكمها يجمع حوله الأنصار والأتباع والجنود، إضافة إلى الشعراء الذين يتغنون بأمجاد كل أمير، فالشعراء أيضاً لهم دورهم الذي لا ينكر. (بكري شيخ أمين الطبعة، 1421هـ)

### اتصال المتنبي بوالي حلب :

اتصل المتنبي في تلك الفترة بوالي حلب سيف الدولة الحمداني سنة 337 هـ، وكانا في سن متقاربة، ومدحه المتنبي، وكان المتنبي قد اشترط على سيف الدولة أن يجلس بين يديه، ولا يقف - كما كان حال الشعراء آنذاك في مدحهم

الملوك - ووافق سيف الدولة، وجازي سيف الدولة شاعره المديح بالعطايا والهبات، واشتد ساعد العلاقة بينهما، وهي علاقة قوامها الحب والمودة والاحترام والتقدير المتبادل، علاقة الند بنده، والصاحب بصاحبه.

وقد دخل سيف الدولة التاريخ من أوسع أبوابه، فنال شهرة لم ينلها أمير من قبله بسبب سيفيات المتنبى أو قصائد المتنبى في سيف الدولة، والتي عرفت بـ "السيفيات" وبقيت خالدة على مر الزمان تحيي ذكر كليهما.

1- ولكن دوام الحال من الحال، والدهر لا يجري في حكمه على حال واحدة؛ إذ أوقع الوشاة والحاقدون بين الصديقين، فتعكر صفو العلاقة بينهما، فحدثت الجفوة والوقيعه، وكان الفراق. (ناصر اليازجي، 2000)

### أسباب الجفوة بين المتنبى وسيف الدولة :

لا نعلم سببا محددًا لما حدث بين الشاعر وأميره ، ولكن هناك أسبابا من المحتمل أنها تقف وراء حدوث الوقيعه بينهما ، منها :

1 - ما حدث للمتنبى في حضرة سيف الدولة ؛ ذلك أن ابن خالويه رمى دواة الحبر على المتنبى ، ولم ينتصف الأمير لشاعره، فشعر المتنبى بالإهانة ، وبجرح عميق نافذ بعد تسع سنوات ونصف من الإقامة بين يدي أميره ، فكان الفراق وحدثت القطيعه .

2 - أرجع بعض الباحثين سبب الجفوة والقطيعه إلى حب المتنبى لـ " خولة " أخت سيف الدولة ، والتي رثاها المتنبى بقصيدة رائعة ، ولكنه ذكر فيها ما لا ينبغي ذكره ، وهو ما لا يليق برثاء بنات الملوك ، فانكسرت العلاقة بينهما (ومعلوم أن من الفضائل لدى العرب عدم نظر الشعراء لبنات الملوك والأمراء وعض البصر عنهن).

وأيا ما كان الأمر أو سبب القطيعه ، فإن ما يهمنا هنا التأكيد على وجود القطيعه ، **ولكن : هل كره المتنبى سيف الدولة ؟**

الإجابة بالنفي طبعاً ، فالمتنبى حقيقة أحب سيف الدولة ، ولم يكره الأمير ، لكنه كره الجو العام المحيط بالأمير، ذلك الجو المليء بالحاسدين الحاقدين ، والمنافسين الذين لا يتورعون عن فعل أي شيء مهما كان في سبيل الوصول إلى مأربهم ، وحاشية سيف الدولة لم تخل بطبيعة الحال من أمثال هذه النفوس الضعيفة الذين أوغروا قلب سيف الدولة على شاعره العظيم ، وأحس الشاعر أنه لو أقام أكثر من ذلك بين ظهرانيهم.

فلربما أصابه مكروه أو أدى ، وربما تعرض للموت والقتل ، أو تعرضت كرامته للانتقاص والامتهان ، فأثر السلامة ، وغادر حلب ، وعاتب سيف الدولة على ذلك في قصيدته ذائعة الصيت ، والتي قسمها بينه وبين أميره ما بين العتاب والفخر ، ومنها :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فالخبل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ولم يقف الشاعر من أميره موقف الساخط الكاره ، بل كان سيف الدولة

دائما علامة كبرى في وجدان المتنبي وذاكرته ، حتى بعد أن عاد المتنبي مرة أخرى إلى الكوفة ، وبعد ترحاله في بلاد كثيرة لم ينس أميره سيف الدولة .

#### مجيء المتنبي إلى مصر وعلاقته بكافور :

جاء المتنبي إلى مصر ، وفي عقله وفكره آمال كبرى عقدها على كافور الإخشيدي ، ولكن كافور خيب ظن المتنبي فيه فهجاه المتنبي بعد أن كان قد مدحه ، وفي قصيدته المشهورة في هجاء كافور ذكره بأبشع الصفات وأحطها ، ولكن: هل كان المتنبي محقا فيما قاله في شأن كافور؟

تستلزم الإجابة عن ذلك السؤال التعرف أولا على شخصية كافور الإخشيدي حاكم مصر ؛ لنحكم بعد ذلك على كلام المتنبي عن الرجل ، ولكي نحدد إذا ما كان المتنبي قد خالف الحق وحقائق التاريخ بخصوص كافور الإخشيدي أم لم يخالفها

#### من كافور الإخشيدي ؟

كان كافور الإخشيدي عبدا حبشيا من رقيق الحبشة ، اشتراه محمد بن طفج مؤسس الدولة الإخشيديّة في مصر عام 923 هـ .  
**صفاته الخلقية :** كان مخصيا أسود اللون ، وديم الخلق ، قبيح الشكل ، منقوب الشفة السفلى ، وبه تشوهات في قدميه ، ويعاني من بطء في الحركة .  
كانت بدايته عندما اشتراه أحد تجار الزيوت ، وعمل معه فترة من الزمن عانى فيها كافور الذل والقهر والعنت والشدة ، ثم كان أن اشتراه بعد ذلك الكاتب محمود بن وهب بن عباس ، وكانت هذه نقطة تحول فاصلة في حياة كافور الإخشيدي ؛ حيث تعلم القراءة والكتابة ، وكان محمود بن وهب يرسله إلى محمد بن طفج حيث كان يعرفه قبل أن يصبح الأخير حاكما على مصر ، فأرسله بهدية إلى محمد بن طفج فعينه الإخشيدي مشرفا على التعاليم الأميرية لأبنائه ، ورشحه كضابط في الجيش ، وكان كافور يفضل البقاء في خدمة سيده ، وبعد فترة أعتقه سيده لما توسمه فيه من الذكاء والإخلاص ، وأرسل كافور من قبل محمد بن طفج كقائد عسكري عام 945 هـ لسوريا ، وفي حملات أخرى لبلاد الحجاز ، وتوفي محمد بن طفج عام 946 هـ ، وأصبح كافور وصيا على العرش ؛ إذ آل أمر البلاد لمحمود بن محمد بن طفج ، فأصبح كافور وصيا على العرش .

#### آراء المؤرخين في كافور :

وصف المؤرخون كافور بأنه حاكم عادل ، وكان يحب العلم والعلماء والأدباء ، ويحيط نفسه بعلماء الدين ورجاله ، ويحرص على إكرامهم بالعطايا والهبات ، ولما جاء المتنبي إلى مصر مدحه بقصيدته المشهورة ومنها :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يــــمــــكن أمانيا  
تمنيئها لــــمــــا تمنيت أن ترى صديقا فأعيا أو عدوا مداحيا  
إذا كنت ترضى أن تعيش بــــذلة فلا تستعدن الحســــاما اليمانيا  
ولا تستطيلن الرماح لــــغارة ولا تستجدين العــــتاق المذاكيا

فما ينفع الأسدَ أحياءُ من الطوى      ولا تنتقى حتى تكون ضواریا  
 حبيبك قلبي قلبك من ناى      وقد كان غدارا فكأن أنتت وافييا  
 وأعلم أن البينيشكيك بَعده      فلست فؤادي إن رأيتهك شاكييا  
 فإن دموع العين عُدرٌ بربها      إذا كن إثر الغادرين جواریا  
 وللنفس أخلاقٌ تدل على الفتى      أكان سخاء ما أتى أم تساخيا  
 أقلّ اشتياقا أيها القلب ربما      رأيتك تصفي الودّ من ليس صافيا  
 خلقتُ لوفاء لو رحلت إلى الصبا      لفارقت شبيبي موجع القلب باكيا  
 أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا      إليه وذا الوقت الذي كنت راجيا  
 إذا كسب الناس المعالي بالندى      فإنك تعطي فني نداء المعاليا  
 أبا كل طيب لأبا المسك وحده      وكل سحاب لا أخص السغواديا  
 وغير كثير أن يزورك راجل      فيرجع ملكا للعراقين واليا  
 وتحقر الدنيا احتقار مجرب      يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا  
 وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى      ولكن بأيام أشين النواصيا

وينضح من القصيدة ان المتنبي مدح كافور فبالغ في مدحه مبالغة كبيرة ؛ فنلاحظ ذلك من خلال الألفاظ والمضمون، فكافور أبو المسك وهو أيضا أبو الطيب ، وهو رجل يعطي في نداء المعالي ، وهو من الخالدين في الأرض، إلى غير ذلك من الأوصاف التي يلقبها الشاعر على ممدوحه ولا عجب في ذلك فهو يمدحه بمقابل او طمعا في عطاياه التي لا حد لها ، وقيل إن المتنبي كان يطعم في أن يأخذ مقاطعة أو مدينة يحكمها ، ولكن كافور رفض معللا ذلك الرفض بأن المتنبي وهو شخص لا يملك شيئا وليس حاكما ولا أميرا ادعى النبوة ، فما بالنا لو أصبح حاكما ، ولكن لو أن كافور كان يعلم ان المتنبي سيهجوّه وأن القصيدة ستأخذ تلك الشهرة والذيع لتنازل للمتنبي عن ملك مصر كله .  
 إذن ما دعا المتنبي لهجاء كافور هو رفض الأخير أن يمنحه ما يشاء ، وليس لعيب وجده الشاعر في ممدوحه ، وليس لنقص في ذات الممدوح ، فالمدح والهجاء محرهما الرغبة في العطاء والحرمان منه .

#### قصيدة المتنبي في هجاء كافور الإخشيدي :

##### دالية المتنبي في هجاء كافور

عيد بأية حال عدت يا عيد" = "يما مضي أم يأمر فيك تجديد  
 أمّا الأجيّة فالبيداء دونهم" = "قلبت دونك بيّدا دونها بيد  
 لولا العلام تجب بي ما أجوب بها" = "وجناء حرف ولا جرداء قيدود  
 ويمضي يقول :

إني نزلت بكذابين ضيفهم" = "عن القرى وعن الثرحال محدود  
 جود الرجال من الأيدي وجودهم" = "من اللسان فلا كانوا ولا الجود  
 ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم" = "إنا وفي يده من تنتها عود  
 من كل رخو وكاء البطن منفتق" = "لا في الرجال ولا النيسوان معدود  
 أكلما اغتال عبد سوء سيده" = "أو خانته فله في مصر تمهيد

صارَ الخصيُّ إمامَ الأيقينَ بها" = "فالحُرُّ مُستَعَبَدٌ والعَبْدُ مَعْبُودٌ  
 نامَت نَوَاطِيرُ مِصرَ عَن تَعَالِيها" = "فَقَدَ بِشَمَنِ وَمَا تَفَنَّى العَنَاقِيدُ  
 العَبْدُ لَيْسَ لِحُرِّ صَالِحِ بِأَح" = "لو أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الحُرِّ مَوْلُودٌ  
 لا تَشْتَرُ العَبْدَ إِلاَّ وَالعِصَا مَعَهُ" = "إِنَّ العَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاقِيدُ  
 ما كُنْتُ أَحسَبُنِي أَبقَى إِلى زَمَنٍ" = "يُسيءُ بي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودٌ  
 وَلا تُوهَمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدِ فُقدُوا" = "وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي البِيضَاءِ مَوْجُودٌ  
 وَأَنَّ ذا الأَسودَ المَتقُوبَ مِشْفُوهٌ" = "طَبيعَةُ ذِي العَضَارِيطِ الرِّعَادِيدُ  
 جُوعَانٌ يَأْكُلُ مِن زَادِي وَيُمسِكُنِي" = "لِكي يُقالَ عَظِيمُ القَدَرِ مَقصُودٌ  
 إِنَّ امْرَأَ أُمَّةٍ حِيلِي تُدبِرُهُ" = "المُستَضَامُ سَخِينُ العَيْنِ مَقوُودٌ  
 وَيَلْمِها حُطَّةً وَيَلْمُ قَابلِها" = "لِمِثْلِها خُلِقَ المَهْرِيَّةُ الفُودُ  
 وَعِندَها لَدَى طَعَمِ المَوْتِ شَارِبُهُ" = "إِنَّ المَنِيَّةَ عِندَ الذَّلِّ قَنَدِيدُ  
 مَن عَلَّمَ الأَسودَ المَخصِيَّ مَكْرُمَةً" = "أَقومُهُ البِيضُ أم أَبائُهُ الصِيدُ  
 أم أَذُنُهُ فِي يَدِ النَخَّاسِ دَامِيَةً" = "أم قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسِينِ مَرْدُودُ  
 أُولَى اللِّثَامِ كُوفِيرٌ بِمَعذَرَةٍ" = "فِي كُلِّ لُؤْمٍ وَبِعضِ العُدْرِ تَقْنِيدُ  
 وَذَلِكَ أَنَّ الفُحولَ البِيضَ عاجِزَةً" = "عَن الجَمِيلِ فَكَيْفَ الخِصْبَةَ السُّودُ

كان الشاعر قد وصل إلى درجة اليأس والإحباط من تصرفات كافور وإهماله له ، فدخل في مرحلة نفسية صادمة فأهمل مجالس كافور ، فما عاد يتردد عليها ، وحين كان يطلب منه قصيدة يمدحه فيها يرفض المتنبي القول فلا ينفاد للطلب .. وهجر عشرة الناس ، ولقاءهم ، وصار ينفرد بذاته ، ويخلو بنفسه ، ويجتر آلامه ، ويرسم الخطط التي تنقذه .

وبدأ الرجل النفسي يغلي شيئاً فشيئاً ، ويتعالى صوت جَيْشانه .. وقبل أن يطفح الكيل ، جاء إلى كافور وسأله صراحة عن وعده بحكم ضيعة أو ولاية أو أي مكان .. وبيّن له أنه ما قدم إلى مصر إلا بعد أن اطمأن إلى وعوده أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمّت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية صار لك أتباع ، فمن يطيقك ؟ " .

وسواء أكان رد كافور عنيفاً أم لا ، فهذا لا أهمية له ، فلن يخدع الشاعر بعد الآن لقد كانت نغمته على الرجل الملوّن المخادع ، وخيبة أمله في انهيار مشاريعه عظيمتين . ولم يخطئ كافور في تعرف نوايا أبي الطيب ، فقد أدرك حقيقة مشاعره نحوه ، وكان يعلم أنه سيفرّج من الفسطاط عند سنوح أول فرصة ، وأنه سيعقب فراره بشعر هجائي وسخرية لاذعة ، فنشر الجواسيس يراقبون الشاعر وعرف المتنبي كل هذا ، فكظم غيظه وأخفى عواطفه وخططه ، ويبدو أنه أخذ لنفسه حراساً انتقاهم من عبيده الأشداء لمقاومة كل هجوم محتمل ، وكانت خطته زيادة في إمكانية نجاحها أن ينتهز فرصة احتفالات الناس بعيد الأضحى للخروج من الفسطاط ، وكان التاسع من شهر ذي الحجة ، وهو مناسبة تجري فيها مراسم واستعراضات ، تجلب جمهوراً كبيراً من الناس ، وهي خير فرصة للهرب والتخفي .

في اليوم التاسع من الشهر المذكور ، خرج المتنبي سراً من الفسطاط ، تتقدمه الإبل المحملة بالسلاح والأمتعة والزاد لعدة أيام ، وأعدّ السير ، فاجتاز

برزخ السويس ، ثم أوغل في صحراء التيه شمالي سيناء .  
وتنبه القوم بسرعة إلى فراره ، فلم يستطيعوا اللحاق به ؛ وكان غيظ  
كافور شديداً جداً ، وأراد المتنبى بعد أن أصبح بعيداً وأمناً أن يشهد الناس مرة  
واحدة على الأقل – على الازدراء الذي يكنه لسيدته القديم ، وتولت أيدٍ أمينة  
إبصالَ قصيدة هجائية مقذعة إلى الخصيِّ كافور ، ولكن العملية لم تنجح ، لأن  
كافوراً شكَّ في محتواها ، فأمر بإحراقها والحقيقة التي ينبغي أن نعرفها جميعاً هي  
أنالو قرأنا التاريخ، وعرَّفنا ما كان عليه أبو المسك كافور الأخشدي، لخلنا من  
تلك الأبيات المقذعة، لاستبدالنا الثناء عليه بالهزاء ، ولدعونا الله له بالمغفرة  
والرحمة .

إنَّ التاريخ لا يسلم من التزوير حينما يُؤخَذ من أفواه الشعراء، ولا سيِّماً  
أولئك الذين يتخذون من شعرهم مصدراً لنيل المجد وتحقيق الملمات النفسية؛ ذلك  
أنَّ تقييم أولئك لمن يتقصّدونهم من أصحاب الرئاسة وذوي الشأن لا يتمُّ إلا من  
خلال نافذة الوصل والعطاء؛ ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (الشعراء، 224)،  
وإذا كان تعبير المتنبى لكافور بأنَّه عبد دميم قد بيع في الأسواق، فإنَّ هذا ليس  
باختياره، ولا يلام الإنسان على ما كتبه الله عليه قدرًا، وإذا أردنا البحث عن  
عيوب الرجال المكتسبة، فإنَّ شاعرًا كالمتنبى – في الوقت الذي كان يفوق شعراء  
عصره جزالة ومعنى – لم يكن إلا مرتزقًا من الطراز الأول، فحيائه ولا نعلم أنَّ  
للمتنبى هدفًا غير ذلك! التي تنقل فيها ما بين الشام ومصر والعراق وفارس لم يكن  
له هدفٌ غير انتقاء الولاة البارزين والاتصال بهم – حيث مكنته موهبة الشعر من  
ذلك؛ طمعًا في كسب المال والجاه والقرب .

**القيم الخفية التي وردت في قصيدة المتنبى في هجاء كافور:  
البخل والكذب :**

وهما صفتان مذمومتان ذكرهما في معرض حديثه عن حاشية كافور:  
إني نزلت بكذابين ضيفهم" = "عن القرى وعن الترحال محدود  
جود الرجال من الأيدي وجودهم" = "من اللسان فلا كانوا ولا الجود  
**وقيل في الكذب:**

إن الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله

**ذم العبيد والانتقاص من قدرهم :**

العبد ليس لحرٍّ صالحٍ بأخ" = "لو أتته في ثياب الحرِّ مولودٌ  
لا تشتر العبد إلا والعصا معه" = "إنَّ العبيد لأنجاسٍ مَنَأكِدُ  
من علمَ الأسودَ المخصيِّ مكرمةً" = "أقومه البيضُ أم أبائه الصيدُ  
أم أدنه في يد النحاس داميةً" = "أم قدره وهو بالفلسين مردودُ  
**العبودية والوضاعة:**

أما في هذه الدنيا كريمٌ  
قال البرقوقي شارحاً لهذا البيت: يشكو خلو الدنيا من الكرام فيقول: أما  
فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم. (البرقوقي، 1980)



أما في هذه الدنيا مكانٌ  
يُسْرُ بأهله الجارُ المقيمُ  
شرح العكبري : قال العكبري: المعنى: يريد: أن جميع الأمكنة قد عمها اللؤم والجور، فليس في الدنيا مكان أهله يحفظون الجار، فيسر بجوارهم جارهم. (أبي البقاء العكبري، 1978)

تَشَابَهَتِ الْبِهَائِمُ وَالْعَبِيدُ  
عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ  
وفسره (الواحدي) بأنه : عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله حتى أشبهوا البهائم في الجهل، وملك المملوكون، فالتبس الصميم، وهو الصريح النسب الخالص، يعني: الأحرار بالموالي وهو الذين كانوا عبيدا أرقاء، وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر، والإمارة إذا صارت إلى اللئام التبسوا على هذا الأصل بالكرام يعني أن التملك إنما استحقه الكرام فإذا صار إلى اللئام ظنوا كراما. (ابن معقل المهلب، 644هـ)

وَمَا أُدْرِي إِذَا دَاءٌ حَدِيثٌ  
أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمٌ  
ويفسر العكبري هذا البيت بأنه : ما أدري هذا الذي أصاب الناس من تملك العبيد واللئام عليهم، أحدث الآن، أم هو قديم، كان فيما تقدم من قبلنا. (أبي البقاء العكبري، مرجع سابق)

حَصَلَتْ يَارِضَ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ  
كَأَنَّ الْخُرَّ بَيْنَهُمْ يَتِيمٌ  
وقال البرقوقي شارحاً هذا البيت بأن الحر بينهم مجفو مهان كاليتيم. (البرقوقي، 1980)

كَأَنَّ الْأَسْوَدَ اللَّابِيَّ فِيهِمْ  
غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَبَوْمٌ  
اللابي: نسبة إلى اللاب، بلد بالنوبة، ويقال أسود لوبي ونوبي: نسبة إلى اللوبة والنوبة، وهما في الأصل: الأرض التي قد ألبستها حجارة سود، والبوم: الطائر المعروف الذي يسكن الخراب، وبه يضرب المثل في الشؤم والرخم: طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع، وشبه الأسود بالغراب- وهو طير خسيس كثير العيوب وشبه أصحابه أيضاً بخساس حول الغراب. (البرقوقي، 1980)

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهَا  
مَقَالِي لِلْأَحْمِيقِ يَا حَلِيمٌ  
وقال المعري شارحاً هذا البيت : لم أجد من مداراته بد، فلما أخذت بمدحه استهزأت به. وقلت له مع حمقه: إنك حلِيم، ومع لؤمه، إنك كريم! . (المعري ، ب.ت)

وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيَا  
مَقَالِي لِابْنِ أَوَى يَا لَتِيمٌ  
وفسر البرقوقي هذا البيت بأنه: ولما أن هجوت: أي ولما هجوت: فـ "أن" زائدة. والعي: ضد الفصاحة. عي في منطقته عيّا: إذا لم يوفق إلى التعبير عما في نفسه- وابن أوى: ضرب من الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها. يقول: ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم؛ كان نسبتي إياه إلى اللؤم عيّا، لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان: عي، ومن قال لابن أوى- وهو من الأم السباع وأخسها- يا لتيم، كان

متكلفاً. (البرقوقي، 1980، مرجع سابق)

فهل من عاذر في ذا وفي ذا  
شرح العكبري : هل من عاذر لي يقوم بعذري في مدحه وهجائه، فإنني كنت مضطراً لم أكن فيهما مختاراً، كالسقم يطراً على السقيم من غير اختيار، ثم ذكر عذره في الهجاء. (أبي البقاء العكبري، 1956)

إذا أتت الإساءة من لئيم  
وشرح الأفليلي: بأنه قال مشيراً إلى الاعتذار من انحطاطه إلى هجو كافور: إذا أتت الإساءة من وضع خسيس، قدر، لئيم، حقير أمره، ولم ألمه على سوء فعله، وأعنفه بتقصير عقله، فمن الذي أعتده باللوم، وأصرف فيه وجوه الهجاء. (ابو القاسم الأفليلي، 1998، 72)

يعني عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يأمرن على الناس، فنقصان الأدب، تضييع العهد والذمة كلها من النقائص التي عابها الشاعر.  
وقال المتنبي هذه القصيدة حين فارق مصر، بعد أن ذهب إليها في سنة ست وأربعين وثلاثمائة، ليمدح كافور الأخشيدي، الذي وعده بولاية بعض أعماله، فلما رأى تغاليه في شعره وسموه بنفسه، خافه، وعوتب فيه، فقال: يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (ﷺ) أما يدعي المملكة مع كافور؟ فحسبكم، ولما يرضى المتنبي عن كافور وخلافه لو عده له بأمانة، وأمله في أمانة سياسية مثل أمانة سيف الدولة بالشام ليكون له مجلس مثله يجتمع فيه الشعراء والأدباء، ليمدحوه ويناطحونه في الشعر، ليستعيض بها شيء من كبريائه الذي جرح في مجلس سيف الدولة بالشام، وفي ليلة عيد الأضحى المبارك ترك مصر، قاصداً بلاد فارس لمدح عضد الدولة بن بويه الديلي. (البرقوقي، مرجع سابق : 4)

إن أبو الطيب كان رجل زهو، وذو كبرياء، ومغروراً إلى أقصى حدود الغرور، بل كان لا يطاق غطرسة وشموخاً وخيلاء، وهذا داء النوابغ والعباقرة، كما كان له من الخصال المذمومة إدعائه للنبوة، ثم استنابته بعد سجنه، كما كان لا يصلح، ومن خصاله الطيبة أنه كان لا يشرب الخمر، ولا زنى، ولا لاط، ولا كذب.

ففي سنة 937م طاف الشاعر بلاد الشام إلى أن استقر عند سيف الدولة الحمداني بعد أن قدمه أبو العشائر، وكان الحمداني عربياً محباً للأدب، لذا نال الشاعر لديه حظوة كبيرة وصحبه في بعض غزواته وحملاته على الروم، وقد لاقت نفسيته أحسن ملائمة مع نفسية الأمير سيف الدولة فكانت تلك الحقبة أطيب الحقب في حياة المتنبي، وأحس أنه نال مبتغاه، ولكن طموحه الغير محدود، وعدم رضاه بتقربه إلى سيف الدولة، وطموحه في نيل أمانة سياسية يهبها له سيف الدولة، وكلما تقرب إلى سيف الدولة، كلما كثر حساده، فرموه بالوشايات، وهو يقاومهم بعنف وكبرياء، حتى نغصوا عليه العيش، وقد لاحظ في آخر عهده عند سيف الدولة جفوة من الأمير وانحرافاً، إذ جرت في حضرته مناظرة بين الشاعر وابن خالويه أدت إلى المهاترة والغضب، وضرب ابن خالويه المتنبي، وقد غادر

على أثرها حلب كلها، وفيه ألم وحزن كبير، وقصد مصر حيث كافور الأخشيدي ليهدف الأمانة السياسية، التي ظل يتلمسها عند سيف الدولة في حلب، وبعدهما أفرد الكثير في مدح كافور الأخشيدي في مصر، ووجد منه ما وجدته في مجلس سيف الدولة، هجاه بهذه القصيدة، وهو راحل من مصر.

فالقصيدة تتم عن بئس المتنبي من الوصول إلى مبتغاه الذي يشتهي، وهذا ما تدل عليه الأبيات، (فالمتنبي) فقد الثقة في الناس، وخلوه من الكرام، الذين لا يصدقون في الوفاء بوعودهم، ويريحونه من عناء التعب، ومناصرتة في شجاره ضد كبريائه مثلما حدث في مجلس سيف الدولة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك في فقدانه لمكان يجلس فيه آمن مطمئن، فكل البشر من وجهة نظره أصبحوا بلا خصال طيبه، وأن الجهل قد طغى على الناس، فقد شبه الناس بالبهايم، حتى اختلط الأمر بين الصالحين والجهلة من الناس، ويعاتب الناس في تقبلهم بأن يمتلكهم العبيد واللثام، بل يسألهم، هل هذا داء من طبيعة البشر أن تولي عليهم العبيد وتجعلهم سادته، أما داء جديد، وذم كافور وحاشيته بأنهم عبيد لرفضه أن يعطيه أعطيته التي وعده أياها مقابل مدحه له، ووصف نفسه بأنه اليتيم لأنه الوحيد الحر والباقي عبيد في أرض مصر.

ومن كثرة كرهه لكافور شبهه بسواد الحجارة شديدة السواد، وطائر البوم الذي يسكن الأماكن الخربة، كما شبهه بالغراب لنفور الناس منه لشؤمه وسواد وجه، وحضوره بين الطير ما يبشر وينذر بالأخبار السيئة التي لا تبشر بالخير، ويعترف (المتنبي) بنفاقه (لكافور) الذي كان يمدحه بما لم يشاهده فيه، في الوقت الذي يرى المتنبي أحق، فقال له يا حلیم، ومع لؤمه بأنه كريم، ويعاتب نفسه أن يجد له من يعذره لما فعله في مدحه (كافور) كل هذه الفترة، ليهجوه الآن، ويتحول من أشد المادحين له، إلى أكثرهم بغضا وكرهاً له، وتتحول أبيات المدح إلى ذم وهجو، طالباً عذراً عن ما فعله من نفاق في شعره الذي قاله في كافور اللئيم الذي آلامه بالإساءة بعدم إعطائه ما وعده، ونفوره من كبريائه وخيلائه بنفسه، وسابقته إدعائه بالنبوه في قومه.

### عن الشجاعة :

ومن القيم التي تناولها المتنبي في شعره قوله متحدثاً عن الشجاعة في الحروب والتضحية بالنفس:

عش عزيزا او مت وانت كريم .. بين طعن القنا وخفق البنود  
فرؤوس الرماح اذهب للغيط .. واشفى لغل صدر الحقود  
وقوله ايضا:

والا تمت تحت السيوف مكرما .. تمت وتقاسي الذل غير مكرم  
وقوله ايضا في نفس المعنى داعيا الى الشجاعة:

وإذا لم يكن من الموت بد .. فمن العجز أن تكون جبانا

وقوله ايضا

إن السلاح جميع الناس تحمله .. وليس كل ذوات المخلب السبع

أيضا قوله:

"من لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعددت الاسباب و الموت واحد  
وقوله ايضا:

### الشجاعة وخوض المنايا

والذي يشهد الوغى ساكن القلب كأن القتال فيها ذمام  
والذي يضرب الكتائب حتى تتلاقى الفهاق والأقدام

ويقول أيضا في خوض المنايا :

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول  
ما زال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشى الشارب الثمل.  
فرب غلام علم المجد نفسه كتعليم سيف الدولة الضربا

وقوله ايضا

كم من مخلص علافي خوض مهلكة وقتلة قرنت بالذم في الجبن  
كثيرا ما يتخلص خائض المهالك مع ما يكسب من الرفعة وكثيرا ما يقتل الجبان  
مذموما

### الدعوة إلى المعالي والبذل :

ومن يجد الطريق الى المعالي .. فلا يذر المطى بلا سنام  
ولم اري في عيوب الناس شيئا .. كنقص القادرين على التمام  
وقوله ايضا:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم  
الدعوة الي عدم الانخداع والحرص من الناس:  
إذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظن أن الليث يبتسم

### الحذر والتيقظ

وجاهل مده في جهله ضحكي حتى أنته يد فراسة وفم  
إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يبتسم  
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم  
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهزم

### الاعتزاز بالرأي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني  
فإذا هما اجتماعا لنفس حرة-بلغت من العياء كل مكان

### فضيلة غض البصر:

و أعض طرفي ما بدت لي جارتي -- حتى يوارى جارتي مأواها  
إني امرؤ سمح الخليفة ماجد ... لا أتبع النفس اللجوج هوأها

### طلب المجد

من طلب المجد فليكن كعلى يهب الألف وهو يبتسم  
ويطعن الخيل كل نافذة ليسلها من وحائها ألم

يعني كل جراحه نافذة تنفذ في المطعون إلى الجانب الآخر ولا يتألم لسرعتها حتى يموت ولا ألم بعد الموت  
الفراسة

ويعرف الأمر قبل موقعه فما له بعد فعله ندم  
إنما يندم من لا يعرف العواقب وإذا عرف الأمر قبل موقعه

#### التزود بالمكارم والعفو عن المذنبين:

إنني أراك من المكارم عسكريا في عسكر ومن المعالي معدنا  
فطن الفؤاد لما أتيت على النوى ولما تركت مخافة أن نقتلنا  
أضحى فراقك لي عليه عقوبة ليسالذي قاسيت فيه هينا  
فاغفر فدى لك واحبني من بعدها لتخصني بعطية منها أنا  
وأنة المشير عليك في بضلة فالحر ممتحن بأولاد الزنا  
كان الأعور بن كروس قد وشى به إلى بدر بن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي  
وجعل قبوله منه ضلة أي أن اطعته في ضللت يهدده بالهزاء ويجوز أن يريد  
بالضلال ما يؤمر به من هجران المتنبي وحرمانه

#### من الفضائل الصدق

والصدق من شيم الكرام فنبتنا أمن المدام تتوب أم من تركه

#### الالتزام بالحق من الفضائل

حسبك الله ما تضل عن الحق قولاً يهتدي إليك أئام

#### العقل والتأدب

لم لا تحذر العواقب في غير الدنيايا أو ما عليك حرا  
فقر الجهول بلا قلب إلى أدب فقر الحمار بلا رأس إلى رسن

#### الصبر

قد هون الصبر عندي كل نازلة ولين العزم حد المركب الخشن  
يقول صبري جعل كل حادثة تنزل بي سهلة هينة وعزمي الآن لي  
المركب الخشن يعني لا أشتكى النوازل بل أصبر عليها ولا استخشن الخطوب  
الصعبة لقوة عزمي إذا عزمت

#### الشجاعة

كم من مخلص علافي خوض مهلكة وقتلة قرنت بالذم في الجبن  
كثيرا ما يتخلص خائض المهالك مع ما يكسب من الرفعة وكثيرا ما يقتل  
الجبان مذموما

#### الجود والحزم

ذا جود من ليس من دهر على ثقة وزهد من ليس من دنياه في وطن  
كلماته قضب وهن فواصل كل الضرائب تحتهن مفاصل  
هزمت مكارمه المكارم كلها حتى كأن المكرمات قبائل.

لو بان بالكرم الجنين بيانه لدرت به ذكر أم أنثى الحامل

### الجود والكرم

لام أناس أبا العشائر في جود يديه بالعين والورق  
وإنما قيل لم خلقت كذا وخالق الخلق خالق الخلق

### الشجاعة وخوض المنايا

والذي يشهد الوغى ساكن القلب كأن القتال فيها ذمام  
والذي يضرب الكتائب حتى تتلاقى الفهاق والأقدام  
ويقول أيضا في خوض المنايا :  
إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول  
ما زال طرفك يجري في دمائم حتى مشى بك مشى الشارب الثمل.  
فرب غلام علم المجد نفسه كتعليم سيف الدولة الضربا

### الحذر والنتيظ

وجاهل مده في جهله ضحكي حتى أنته يد فراسة وفم  
إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يبتسم  
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم  
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهزم

### الحلم والجود:

لأن حلمك حلم لا تكلفه ليس التكحل في العينين كالكحل  
أنت الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مذل  
وما ثناك كلام الناس عن كرم ومن يسد طريق العارض الهطل  
أنت الشجاع إذا ما لم تطأ فرس غير السنور والأشلاء والقلل  
مهلا فإن العذل من أسقامه وترققاً فالسمع من أعضائه  
يقول للعادل دع العذل فإني سقيم لا احتمله والعذل من جملة اسقامي لأنه  
يزيدني سقما وأرفق في عذلك  
فإنك ترى ضعف اعضائي ولا تحتل أذى والسمع من جملة أعضائي فلا تورد  
عليه ما يضعف على استماعه.

### كتم السر والحفاظ عليه

وسركم في الحشا ميتاً إذا أنشر السر لا ينشر  
وإفشاء ما أنا مستودع من الغدر والحر لا يغدر  
إذا ما قدرت على نطقة فإني على تركها أقدر  
يريد أنه على الكتمان أقدر منه على الإظهار لأن الإظهار فعل والكتمان  
ترك الإظهار ومن قدر على فعل كان على ترك الفعل أقدر

### ترك كلام الحاقدين والمجادلين والحاسدين :

وما لكلام الناس فيما يربيني أصول ولا للقاتليه أصول

أعادي على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والأفكار في تجول  
وللحساد عذر أن يشحوا على نظري إليه وأن يذوبوا  
فإنني قد وصلت إلى مكان عليه تحسد الحدق القلوب

### العفو عن الأحرار

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا  
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

### الكرم

لا تطلبن كريما بعد رؤيته إن الكرام بأسخاهم يدا ختموا  
ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم  
إذا كسب الناس المعالي بالندى فإنك تعطي في نداءك المعاليا  
وغير كثير أن يزورك راجلٌ فيرجع ملكا للعراقين واليا  
فقد تهب الجيش الذي جاء غازيا لسائلك الفرد الذي جاء عافيا  
يقول إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائلٍ واحدٍ أنك يسألك  
وتحتقر الدنيا احتقار مجربٍ يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

### وقال في مدح كافور بالكرم

كرم في شجاعةٍ وذكاء في بهاءٍ وقدرةً في وفاء

### كتم السر

وللسر مني موضع لا يناله نديم لا يفضي إليه شراب

ومن الرذائل التي حذر المتنبي منها مايلي:

### الكذب

إن الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي نقله

### الحلم عن ضعف رذيلة

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجيء إليها اللئام  
يقول الحلم إذا لم يكن عن قدرة على العدو كان عجزا وهو حجة اللئام  
بسمون عجزهم عن مكافأة العدو حلما كما قال الآخر، إن من الحلم ذلا أنت  
عارفه، والحلم عن قدرة فضل على الكرم.

### وقال في نفس المعنى عن الهوان :

من يهن بسهل الهوان عليه لم لجرح بميتٍ إيلام  
ضاق ذرعا بأن أضييق به ذرعا زمانيا واستكمرتني الكرام

### الحسد :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب  
يستخشن الخز حين يلمسه وكان يبصر بظفره القلم

إني وإن لمت حاسدي فما أنكر أني عقوبة لهم  
يقول إنهم معذرون في حسدي لأنهم معاقبون بتقدمي عليهم وظهور  
نقصاتهم بزيادة فضلي  
وكيف لا يحسد امرؤ علم له على كل هامة  
قدمهم لأموالهم ولسن لهم والعار يبقى والجرح يلتئم  
غضب الحسود إذا لقبك رزء أخف على من أن يوزنا  
أمسى الذي بربك كافرا من غيرنا معنا بفضلك مؤمنا

### قلة العقل

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام  
لا عيب بالقوم من طول ومن قصر، جسم البغال وأحلام العصافير  
وقيل فما عظم الرجال لهم بفخر، ولكن فخرهم كرم وخير،  
ما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام،  
أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام  
المعهود في مثل هذا أن يقال هم ملوك إلا أنهم في طبع الأرانب لكنه  
عكس الكلام مبالغة فجلع الأرانب حقيقة لهم والملك مستعار فيهم

### الجبن من الرذائل

لا يعجب مضمياً حسن بزته وهل تروق دفيناً جودة الكفن  
المضمي المظلوم والبزة اللباس يقول لا ينبغي للمظلوم ان يعجب بحسن  
لباسه فإن الميت لا يعجب بحسن كفنه شبه المظلوم الذي لا يدفع الظلم عن نفسه  
بالميت وجعل ثوبه كالكفن.

### مخالطة اللئيم من الرذائل المستقبحة :

ومكائد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى  
لعتت مقارنة اللئيم فإنها ضيف يجر من الندامة ضيفنا  
يقول مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة لأن عاقبتها الندامة فهي كضيف معه ضيف من  
الندامة

### خيانة الصداقة : قوله محذرا من الخيانة وبيان عواقبها

ولا خير في خل يخون خليله... ويلقاه من بعد المودة بالجفا  
وينكر عيشا قد تقادم عهده... ويظهر سرا كان بالأمس في خفا  
الشك والنفاق: قوله:

فلما صار وُدُّ الناس خياً جزيت على ابتسام بابتسام  
وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي انه بعض الأنام  
يحب العاقلون على التصافي وحب الجاهلين على الوسام  
ومن المعروف أن المتنبى قد عانى كثيراً من كافور ولجأ لمداهنته أملاً في الفوز  
بعطاياه الكثيرة ولكنه لم ينل منه شيئاً.



### قذف النساء في أعراضهن:

والمتنبي يهجو ضبة وامه في قصيدة غاية في الفحش والتي تسببت في مقتله يقول المتنبي:

وما عليك من العا \*\*\*\* ر أن أمك قحبة  
وما يشق على الكل \*\*\* سب أن يكون ابن كلبة  
ما ضــــرها من أتاها \*\*\*\* وإنــــما ضــــرر صلبه

### التعلق بالمرأة من الرذائل:

وما العشق إلا غرة وطماعة يعرض قلب نفسه فتصاب

### هتك العرض :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللين

### سب الآخرين : كقوله:

قوم إذا مست النعال وجوههم شكت النعال بأى ذنب تصفع  
هذا هو القرن الرابع الهجري العصر الذي عاش فيه المتنبي عصر اضطربت فيه السياسة وكثر المتغلبون واشتعلت بينهم نيران الحرب، وزادت الثورات ولكته مع ذلك يظل عصر العلوم والآداب. فما زال العلماء والأدباء منذ القرن الثاني الهجري يفكرون ويبحثون ويؤتون الناس ثمار عقولهم، ويخلدونها في الكتب ميراثاً لمن بعدهم حتي كان القرن الرابع فإذا ثروة عظيمة زاد العلماء عليها واجتهدوا في نقدها وترتيبها. ثم كثرت الدول فحرص كل ملك علي أن جذب العلماء والأدباء و الشعراء ليذيع صيته ويخلد اسمه بما يؤلف من الكتب له وما ينظم من الشعر في مدحه. كان القرن الرابع يموج بالشعراء ولكنهم كانوا أقل ابتكاراً وأصالة من الشعراء القرن الثالث. وإذا استثنينا أبا الطيب لم نجد فيهم من يقاس بأبي نواس وأبي تمام والبحثري. واجمال الكلام أن القرن الرابع كان من أزهى العصور الإسلامية في كل ما تناولته الحضارة العربية الإسلامية من علم وأدب وحث على الفضائل ودعوة للبعد عن الرذائل. (الاعتداد بالنفس في شعر المتنبي، 2011)

فاختلطت أشعار المتنبي بين الفضائل والرذائل، فقد ذكر العديد من فضائل الأمراء والملوك من الشجاعة والإقدام في الحرب، وصون العرض، والكرم، وعفة النفس، إذا أغدقوا عليه من المنح والعطايا، وإذا به يهجوهم، ويذكر رذائلهم ويصفهم بما فيهم، وما ليس فيهم، حين يمنعه الهبات والعطايا، فها هو يهجو كافور الذي سبق ومدحه، بقصيده حين فارق مصر، بعد أن ذهب إليها في سنة ست وأربعين وثلاثمائه، ليمدح كافور الأخشيدي، الذي وعده بولاية بعض أعماله، فلما رأى تغاليه في شعره وسموه بنفسه، خافه، وعوتب فيه، فقال: يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (ﷺ) أما يدعي المملكة مع كافور؟ فحسبكم، ولما يرضى المتنبي عن كافور وخلافه لوعده له بأماره، وأمله في أماره سياسية مثل أماره سيف الدولة بالشام ليكون له مجلس مثله يجتمع فيه الشعراء والأدباء، ليمدحوه ويناطحونه في

الشعر، ليستعويض بها شيء من كبريائه الذي جرح في مجلس سيف الدولة بالشام، وفي ليلة عيد الأضحى المبارك ترك مصر، قاصداً بلاد فارس لمدح عضد الدولة بن بويه الديلي. (عبدالرحمن البرقوقي، 1986: 4)

وأبو الطيب كان رجل زهو، وذو كبرياء، ومغروراً إلى أقصى حدود الغرور، بل كان لا يطاق غطرسة وشموخاً وخيلاء، وهذا داء النوابغ والعباقرة، كما كان له من الخصال المذمومة إدعائه للنبوة، ثم استنابته بعد سجنه، كما كان لا يصلي، ومن خصاله الطيبة أنه كان لا يشرب الخمر، ولا زنى، ولا لاط، ولا كذب.

ففي سنة 937م طاف الشاعر بلاد الشام إلى أن استقر عند سيف الدولة الحمداني بعد أن قدمه أبو العشائر، وكان الحمداني عربياً محباً للأدب، لذا نال الشاعر لديه حظوة كبيرة وصحبه في بعض غزواته وحملاته على الروم، وقد لاقت نفسيته أحسن ملائمة مع نفسية الأمير سيف الدولة فكانت تلك الحقبة أطيب الحقب في حياة المتنبي، وأحس أنه نال مبتغاه، ولكن طموحه الغير محدود، وعدم رضاه بتقربه إلى سيف الدولة، وطموحه في نيل أمانة سياسية يهبها له سيف الدولة، وكلما تقرب إلى سيف الدولة، كلما كثر حساده، فرموه بالوشايات، وهو يقاومهم بعنف وكبرياء، حتى نغصوا عليه العيش، وقد لاحظ في آخر عهده عند سيف الدولة جفوة من الأمير وانحرافاً، إذ جرت في حضرته مناظرة بين الشاعر وابن خالويه أدت إلى المهاترة والغضب، وضرب ابن خالويه المتنبي، وقد غادر على أثرها حلب كلها، وفيه ألم وحزن كبير، وقصد مصر حيث كافور الأخشيدي ليهدف الأمانة السياسية، التي ظل يتلمسها عند سيف الدولة في حلب، وبعدما أفرد الكثير في مدح كافور الأخشيدي في مصر، ووجد منه ما وجدته في مجلس سيف الدولة، هجاه بهذه القصيدة، وهو راحل من مصر.

فالقصيدة تتم عن يئس المتنبي من الوصول إلى مبتغاه الذي يشتهي، وهذا ما تدل عليه الأبيات، (فالمتنبي) فقد الثقة في الناس، وخلوها من الكرام، الذين لا يصدقون في الوفاء بوعودهم، ويربحونه من عناء التعب، ومناصرتة في شجاره ضد كبريائه مثلما حدث في مجلس سيف الدولة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك في فقدانه لمكان يجلس فيه آمن مطمئن، فكل البشر من وجهة نظره أصبحوا بلا خصال طيبه، وأن الجهل قد طغى على الناس، فقد شبه الناس بالبهايم، حتى اختلط الأمر بين الصالحين والجهلة من الناس، ويعاتب الناس في تقبلهم بأن يمتلكهم العبيد واللئام، بل يسألهم، هل هذا داء من طبيعة البشر أن تولي عليهم العبيد وتجعلهم سادته، أما داء جديد، ودم كافور وحاشيته بأنهم عبيد لرفضه أن يعطيه أعطيته التي وعده أياها مقابل مدحه له، ووصف نفسه بأنه اليتيم لأنه الوحيد الحر والباقي عبيد في أرض مصر.

ومن كثرة كرهه لكافور شبيهه بسواد الحجارة شديدة السواد، وطائر البوم الذي يسكن الأماكن الخربة، كما شبيهه بالغراب لنفور الناس منه لشؤمه وسواد وجهه، وحضوره بين الطير ما يبشر وينذر بالأخبار السيئة التي لا تبشر بالخير،

ويعترف (المتنبي) بنفاقه (لكافور) الذي كان يمدحه بما لم يشاهده فيه، في الوقت الذي يرى المتنبي أحق، فقال له يا حلِيم، ومع لؤمه بأنه كريم، ويعاتب نفسه أن يجد له من يعذره لما فعله في مدحه (كافور) كل هذه الفترة، ليهجوه الآن، ويتحول من أشد المادحين له، إلى أكثرهم بغضا وكرهاً له، وتتحول أبيات المدح إلى ذم وهجو، طالباً عذراً عن ما فعله من نفاق في شعره الذي قاله في كافور اللئيم الذي آلمه بالإساءة بعدم إعطائه ما وعده، ونفوره من كبريائه وخيلائه بنفسه، وسابقتها إدعائه بالنبوه في قومه.

### المراجع

- 1- ابن عبدربه ام 106-107.
- 2- ابو القاسم الأفليلي (1998) : شرح شعر المتنبي، الجزء الثاني، تحقيق د. مصطفى عليان، مؤسسة الرساله للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 72
- 3- ابي البقاء العكبري (1978) : ديوان المتنبي بشرح العكبري، مطبعة دار المعرفه، بيروت، لبنان
- 4- الأشباه والنظائر 1 / 193، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م، وكذلك انظر الكتاب بتحقيق محمد الزحيلي، دار الفكر، دمشق 2006م
- 5- الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب المصرية 1994م.
- 6- الاعتماد بالنفس فى شعر المتنبي جامعة آزاد الإسلامية فرع آبادان نشر بمنندى ديوان العرب 2011/8/8
- 7- بحث بعنوان الاعتماد بالنفس فى شعر المتنبي نشر فى جامعة آزاد الإسلامية فرع آبادان، ونشر بمنندى ديوان العرب بتاريخ الاثنتين/8/اغسطس/2011.
- 8- بكرى شيخ أمين المتنبي وصراعاته دراسه نفسيه واثيوبيه الدار السعوديه للنشر والتوزيع ط 1 1421هـ
- 9- جابر قميحة: المدخل إلى القيم الأخلاقية، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط.1، 1984، ص 27.
- 10- جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام دار الساقى العراق ط 4، 2001م
- 11- ديوان الهذليين
- 12- ديوان حاتم الطائي
- 13- ديوان زهير بن أبي سلمى تحقيق على حسن فاعور دار الكتب العلمية بيروت ط 1 1988م
- 14- ديوان عبيد بن الأبرص
- 15- ديوان عنتره بن شداد
- 16- سعيد حسين منصور: القيم الخلقية فى الخطابة العربيه من الجاهليه حتى بداية القرن الثالث الهجرى ط بنى غازى ليبيا 1972م
- 17- سيد بدوي الأخلاق بين الفلسفه وعلم الاجتماع
- 18- شرح ديوان الحماسه للمرزوقى تحقيق غريد الشيخ دار الكتب العلمية بيروت ط 1 2003م
- 19- شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى الشعر دار المعارف القايره 200م
- 20- الشيخ ناصيف اليازجى: العرف الطيب فى شرح ديوان أبي الطيب دار الأرقم بيروت 2000م

- 21- عبدالرحمن البرقوقي (1986) : شرح ديوان المتنبي، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 37.
- 22- عبدالرحمن البرقوقي (1986) : شرح ديوان المتنبي، الجزء الثاني ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 4
- 23- العقد الفريد:احمد بن عبد ربه تحقيق مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية بيروت ط1 1983م
- 24- للمزيد عن حياة المتنبي، ينظر (المتنبي وصراعاته دراسة نفسية وأسلوبية: د. بكرى شيخ أمين الطبعة: الأولى لعام 1421هـ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية.
- 25- المتنبي شرح ديوان المتنبي للواحدى تحقيق ياسين الإيبي دار الرائد العربي ط1
- 26- محمد عبدالله دراز: دستور الأخلاق فى القرآن دراسة مقارنة للأخلاق تحقيق عبد الصبور شاهين مراجعة السيد بدوى محمد مؤسسة الرساله
- 27- المرزوقي: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي تحقيق عبدالسلام هارون وأحمد أمين ،دار الجيل بيروت ط ،1، 1991
- 28- مصطفى الشكعة أبو الطيب المتنبي فى مصر والعراقين الدار المصرية اللبنانية ط1 2001م
- 29- مصطفى الشكعة، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين، الدار المصرية اللبنانية، 2001.
- 30- المعري (ب.ت) : شرح ديوان ابي الطيب المتنبي، تحقيق : عبدالمجيد دياب، الهيئة المصرية العامة للكتاب المصري، القاهرة.
- 31- المفضليات لأبى العباس المفضل تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف القاهره ط10، 1992م.
- 32- ناصيف اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب، دار الارقم، بيروت، 2000